اَلدَّعْوَةُ إِلَى وِحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ
فِي فِكْرِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
« دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ »

إِعْدادُ:

د. خالد حسين حمدان

الأستاذ المشارك بكلّيَّة أصول الدّين بالجامعة الإسلاميَّة في غزَّة

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً، وبعد:

فهذا جهد متواضع يساهم به الباحث رغبة منه في صب ولو قليل من الماء على نار الفرقة التي تكاد تحرق العالم الإسلامي، علَّها بإذن الله ﷻ وإلى جانب غيرها من قليل الماء تطفئ هذه النار، وجعلت عنوان البحث: «الدعوة إلى وحدة المسلمين في فكر الإمام الشافعي»، ولا يخفى على أحد أن الإمام الشافعي هو أحد الأعلام البارزين من سلف هذه الأمَّة بما كان له من فضل بعد الله ﷻ في بناء حضارتها المتمثِّل من جملة ما يتمثل في وحدتها وعدم شرذمتها، هذا وسيقتصر الباحث في بحثه على الجانب العقدي الذي كان للإمام الشافعي – رحمه الله ﷻ رحمة واسعة – فيه باع طويل نافح من خلاله ودافع عن العقيدة الإسلاميَّة وحرص على وحدة المسلمين، ذلك أنَّ عامل العقيدة هو العامل الأول والركيزة الأهم التي يقوم عليها كيان الأمَّة المسلمة، وتنضوي تحت لوائه صفوفها، فمن العقيدة يستلهم المسلمون طريق وحدتهم، وعلى ضوئها يشقون طريقهم إلى أعلى قمم المجد والعلى، وبهداها ومبادئها القيِّمة يفتحون القلوب والعقول قبل أن يفتحوا الأمصار والأقطار، أقول هذا في الوقت الذي كثرت فيه المؤلفات، والخطب، والمحاضرات، والمواعظ،

والندوات، التي تنادي بتوحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم بأساليب متعددة، وطرح للحلول الكثيرة، لكن أساليب وحلول ناقصة وغير تامة، نظراً لاهتمامها بالجوانب الفرعية فقط؛ فنجد أن فريقاً ممن يهتم بعوامل وحدة المسلمين يركِّز جل اهتمامه على الجانب السياسي:

وثانٍ: على الجانب الأخلاقي.

وثالثاً: على جوانب الترغيب والترهيب والزهد والورع، وقلّ أن تجد بين هؤلاء وأولئك من يهتم بالجانب الرئيس والركن العظيم، الذي هو حصن الأمة الحصين، والمنطلق المتين لجمع كلمة المسلمين، ألا وهو عقيدة التوحيد التي جمع الله ﷻ بها أمَّة العرب بعد الفرقة وألف بين قلوبها بعد التمزق، حتى أصبحت أمة واحدة ذات هدف واحد ومنطلق واحد، فالعقيدة الإسلامية إذاً، هي مصدر العزَّة، وعنوان السعادة ومناط الوجود في هذه الحياة، إنها عبادة الله ﷻ الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، إنها الهدف الأسمى، والمقصد الأعلى الذي خلقنا الله ﷻ له، وأوجدنا من أجله، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ٢، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ البينة: ٥.

إذا عرفنا هذا فإن أية دعوة إلى وحدة المسلمين لا ينطلق أصحابها من هذا المنطلق الرئيس، ولم تؤسس على هذا الأساس السليم، ولم تقم على تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والبدع، والمعاصي، فإنها دعوة

سيكتب لها وبلا أدنى شك، الفشل لا محالة عاجلاً أم آجلاً لأن البناء لا يمكن تشييده إلا على أرض صلبة حتى لا يتعرض للانهيار يوماً من الأيام. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ التوبة: ١٠٩، وحينما نقول: إن مبنى وحدة المسلمين على عقيدة التوحيد وعندما ندعوا إلى وجوب الانطلاق من هذا المبدأ، فإن ذلكَ لا يعنى بحال إهمال الجوانب الأخرى التي أشرنا إلى بعضها، وإنما نعني وجوب الانطلاق أولاً من منطلق العقيدة، فعلى ضوئها ترسم السياسات، وعلى منهجها تبنى الآداب والأخلاق، وفي حدودها ندعو إلى الترغيب والترهيب، وعلى مبادئها يوجد بإذن الله المجتمع الإسلامي الموحد وتوجد السعادة البشرية في الدنيا والآخرة ويعود الناس إلى دين الله أفواجاً فينعمون بالخير والأمن والطمأنينة، وفق هدى هذه العقيدة الخالصة الوارفة الظلال.

موضوع البحث:

يتناول البحث موضوع وحدة المسلمين، والعمل على إعادتها مع جملة العاملين المخلصين، وذلك من خلال تلَمُّس الطريق المؤدي إليها، ألا وهو طريق العقيدة الإسلاميَّة، ومن ثم تبصير المسلمين وحثهم على السير فيه، من أجل استعادة مجدهم التليد، الذي غادرهم عقوداً من الزمان بسبب تفرُّقهم وتشرذمهم.

أهميَّة البحث:

تتمثل أهميَّة هذا البحث في إثارة مسألة هي في غاية الأهميَّة إن لم نقل الخطورة والمسلمون في أمسّ الحاجة إليها، إنها مسألة توحيد صفِّ المسلمين وإزالة أسباب الفرقة والاختلاف لدفع الأذى عنهم، هذا الأذى المتمثل في:

١) هيمنة القوى الطاغية المُدجَّجة بالأسلحة المُدمِّرة والفتاكة على ناصية الأمور، فهي التي تدير الأحداث وتتصرف تصرفات عدائيَّة من أجل إكمال سيطرتها على موارد الشعوب المسلمة ومُقدَّراتها.

٢) وجود أجهزة الإعلام المستحدثة ووسائلها الإلكترونية المؤثّرة التي تقوم ببث السموم وترويج الأفكار المنحرفة ونشر القِيَم اللاأخلاقية والتي لها تأثيرات خطيرة على عقول أبناء المسلمين.

٣) تمزيق الأمَّة شرَّ ممزق وجعلها شراذم –كحالها في زمانها هذا، وزمانها في جاهليَّتها– لا يقيم لها الناس وزنًا، واشتعال الخلافات والحروب الداخليَّة بينها من أجل التنازع على النفوذ والسلطان، وإنَّه بسبب الفرقة والخلاف الداخلي للأمَّة حصل لها من جملة ما حصل في تاريخها أن:

أ- قامت الدولة العبيدية التي كانت تنتسب زورًا للسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقد كانت تلك الدولة على عقيدة الشيعة الإسماعيلية الباطنية الخارجة عن الإسلام، وبعد قيامها أخذت تُنازع الخلافة العباسية زعامة العالم الإسلامي.

ب- انحلال سلطان دولة الأتراك السلاجقة، وانقسامها إلى عدة دويلات متحاربة، فبعد أن توفي السلطان ملكشاه عام ٤٨٥ هـ- ١٠٩٢م اقتسم أبناؤه الأربعة مملكته الواسعة، فأصبحت أربعة ممالك: فارس- كرمان – العراق- حلب ودمشق، وخرج عن التبعية للسيادة السلجوقية حكام المدن والولايات، المسمَّون بالأتابكة، وحدثت خلافات ومنازعات بين سلاجقة الشام أنفسهم(١) .

هذا الأذى بشقيه الخارجي والداخلي، يؤكد على أهمية مثل هذه الأبحاث ومدى قدرتها على المساهمة في رد الأمور إلى نصابها، ولا شك أن أوّل خطوة نحو بناء المستقبل هو رص الصفوف وتوحيد الكلمة؛ لأن التناحر بين فئات الأمة يجعلها لقمة سائغة لأعدائها بل ويمنحهم الفرصة تلو الأخرى لإشعال المزيد من حرائق الفتن وتمزيق وحدة المسلمين وإضعاف قدراتهم.

أسباب اختيار موضوع البحث:

بالإضافة إلى ما للموضوع من أهمية، فقد اخترته للأسباب التالية:

١) أنَّ الإمام الشافعي رحمه الله ﷺ رحمة واسعة أحد أئمَّة الدين وأعلام الهدى المقتدى بهم في الإسلام، والمعتمد على أقوالهم وأعمالهم بين

---

(١) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، ٥/٢٨٣، تحقيق الدكتور إحسان عبَّاس، دار صادر- بيروت، وانظر كذلك المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ٦ / ٣٠٠ تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار الكتب العلميَّة – بيروت.

الأنام، من هنا فإنَّ بيان منهجه في وحدة الأمَّة هو إقامة للحجَّة على من يقدر الإمام الشافعي قدره ثم لا ينهج نهجه.

٢) افتقار الأمَّة الإسلاميَّة – خاصة في العقود الأخيرة – للرجال القادة الذين يحرصون على وحدة صف المسلمين، والذين عندهم القدرة على فرز الأولويات والتعامل الذكي مع الواقع، وكذلك القدرة على التغيير إلى ما فيه خير الأمة وحاجاتها والتعبير عن آمالها وآلامها الأمر الذي يشكِّل أزمة إداريَّة و فكريَّة.

٣) إسهام الباحث في إيجاد الشخصيَّة القياديَّة المؤهلة إيمانيَّاً وعقليَّاً وإداريَّاً لحمل الأعباء والتكاليف والمهمَّات الصعبة، لا سيَّما مهمَّة توحيد المسلمين من خلال إبراز دور العلماء المعتبرين في مثل هذه المهمَّات كالإمام الشافعيِّ رحمه الله تعالى.

٤) بيان أن الظروف اليوم وكل يوم مهيأة لإنجاب مثل شخصيَّة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، فالتربية والإعداد والممارسة العملية لكتاب الله ﷻ الكريم وسنَّة النبيِّ ﷺ المطهرة، وممارسة الشورى على حقيقتها يمكن أن يأتي بهذه الشخصية.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في العمل مع جملة العاملين المخلصين في:

١) إعادة الأمَّة الإسلاميَّة إلى سابق عهدها، أمَّةً مُوَحَّدة متراصَّةً كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا.

٢) أن تلتقي الأمَّة على مبادئ سامية كفيلة بإيجاد أواصر المحبة والتعاون

والتناصح وترتبط برباط روحي متعارف متآلف.

٣) إعادة مجد المسلمين التليد المتمثل في إقامة دولتهم وخلافتهم، من أجل استئناف إخراج الناس ودون عوائق من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد جلَّ في علاه، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

منهج البحث:

سلك الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي[(١)]، حيث إنَّه أنسب المناهج لمثل هذه البحوث، وعلى الله قصد السبيل.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات والأبحاث، وأوراق العمل، التي صنِّفت في موضوع البحث، بيد أنَّ النادر منها تناول الموضوع ذاته بالحيوية التي تناولها الباحث في بحثه هذا، ذلك أن طرحها للموضوع ركز على أسباب منها العقدي ومنها غير ذلك، من أجل ردِّ المسلمين إلى وحدتهم في حين ركز الباحث هنا على الجانب الأصيل ألا وهو الجانب العقدي، هذا أولاً.

وأمَّا ثانياً: لم تبرز تلك الدراسات دور قائد بارز يبدي رأيه في قضايا

---

(١) المنهج الوصفي التحليلي هو: " وصف منظم للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمَّة بطريقة موضوعيَّة وصحيحة". دليل البحث والتقويم التربوي/ أحمد الخطيب وآخرون، ص ٦٢، ط.١٩٨٥م.

خطيرة كهذه القضيَّة، قضيَّة وحدة المسلمين في حين أبرز الباحث وبشكل جليٍّ دور إمام بارز من أئمَّة أهل السنَّة والجماعة ذلكم هو الإمام الشافعيَّ رحمة الله تعالى عليه، ومن أبرز تلك الدراسات:

١- مَنْهَجُ السَّلَفِ في العَقِيدَةِ وأثَرُهُ في وحدَةِ المُسلِمِينَ/الدكتور صالح السحيمي، وهو جهد مقدر أسهم فيه مؤلفه في بيان المنهج الذي كان عليه السلف الصالح في العقيدة، ومدى مخالفة الناس له، الأمر، الذي فرَّق كلمة المسلمين وأضعف وحدتهم، وبيَّنَ فيه، أن مصدر العزَّة وعنوان السعادة، ومناط الوجود، هو في التزام الأمَّة بمنهج السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

٢- أثر العقيدَة الإسلاميَّةِ في تضامُنِ وَوَحْدَة الأمَّةِ الإسلاميَّةِ/ الدكتور أحمد سعد الغامدي، وهو بحث موجز بيَّن فيه مؤلفه أن الخلافات بين قطاعات الأمَّة هي التي أضرت بها، وإذا ما أرادت الأمة أن تلم شعثها وتوحد صفوفها، فإنَّه لابد لها من إدراك صحيح للأسباب التي كانت وراء واقعها المعاصر المر الأليم، وقد جاء البحث في أربعة أقسام، منها ما هو عقدي ومنه ما هو غير ذلك، وكان أبرزها القسم الثالث، وهو بعنوان أسس وحدة الأمة الإسلامية، وهي: وحدة العقيدة، وحدة الغاية، وحدة القيادة، وحدة المنهج، وقد تشابه معه بحثنا في الأساس الأول، وهو وحدة العقيدة.

٣- التضَامن الإسلامي/ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز– رحمة الله تعالى عليه، وقد بين فيه أنَّ العباد لا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ولا يهابهم عدوهم إلا بالتضامن الإسلامي، الذي حقيقته التعاون على البر

والتقوى والتكافل والتناصر والتعاطف والتناصح والتواصي بالحق والصبر عليه، وهذه القضايا منها ما هو عقدي، ومنها ما هو ملحق بالعقيدة، بالإضافة إلى طرقه قضايا غير عقدية من أجل التضامن الإسلامي كالتمثيل السياسي، وتوجيه وسائل الإعلام إلى ما فيه مصلحة الجميع.

٤- الوحدة بين المسلمين ودورها في بناء الكيان الحضاري للأمة الإسلامية للباحث لؤي عباس الهزايمة، وهو بحث مختصر، حوالي ست صفحات تحدث فيه مؤلفه حديثاً عامًّاً عن أهميَّة الوحدة بين المسلمين، ولن يتسنى للمسلمين في هذا الزمان استعادة هويتهم وشهادتهم على الناس إلا بتوحدهم، وتمركزهم حول عقيدتهم الإسلاميَّة، ثم تحدَّث عن الفرقة وأثرها في الانهيار الحضاري.

ملاحظة:

الدراسات الثلاثة الأولى كانت عبارة عن مشاركة من مؤلفيها في المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة والدعاة، الذي عقدته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في شهر ربيع الأول من العام ١٤٠٤ هـ والذي كان موضوعه «سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين».

وقد نشرت جميعها في مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة، العدد الحادي والستين (محرَّم– صفر–ربيع الأول ١٤٠٤ هـ)، العام السادس عشر من عمر المجلَّة، في حين لم تكن الدراسة الرابعة من أعمال المؤتمر، وقد نشرت في مجلَّة البيان العدد ١٣٠ والتي تصدر عن المنتدى الإسلامي.

خطَّة البحث:

جاء هذا البحث في مقدِّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفيما يلي بيان ذلك.

أولاً: المقدمة، وقد اشتملت على: موضوع البحث، أهميَّة البحث، أسباب اختيار موضوع البحث، أهداف البحث، منهج البحث، والدراسات السابقة، ثم الخاتمة، وقد اشتملت على أهمِّ النتائج والتوصيات.

ثانياً: التمهيد.

ثالثاً: المباحث، وهي أربعة:

المبحث الأول: التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأثر ذلك على وحدة المسلمين.

المطلب الأول: التمسك بكتاب الله تعالى وأثر ذلك على وحدة المسلمين.

المطلب الثاني: التمسك بسنة الرسول ﷺ وأثر ذلك على وحدة المسلمين.

المبحث الثاني: الإيمان وأثره على وحدة المسلمين.

المطلب الأول: عقيدة التوحيد وأثرها على وحدة المسلمين.

المطلب الثاني: توحيد الأسماء والصفات وأثره على وحدة المسلمين.

المطلب الثالث: حكم مرتكب الكبيرة وأثر ذلك على وحدة المسلمين.

المبحث الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر وخلق أفعال العباد وأثر ذلك على وحدة المسلمين.

المطلب الأول: الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على وحدة المسلمين.

المطلب الثاني: الإيمان بخلق أفعال العباد وأثره على وحدة المسلمين.

المبحث الرابع: تعظيم قدر الصحابة ﷺ وأثره في وحدة المسلمين.

المطلب الأول: عدالة الصحابة.

المطلب الثاني: سب الصحابة وحكمه.

المطلب الثالث: الإمساك عما شجر بينهم.

الخاتمة، وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

إنّ الإسلام دين ائتلاف واتفاق ودين وحدة واجتماع، يربط بين المسلمين برباط عقدي وثيق ويقيم بينهم علاقة الأخوّة الإيمانية التي تنصهر فيها كافة الأعراق والأجناس وينخرط في عقدها كل من نطق بالشهادتين مهما تباعدت البلاد والأقطار وتناءت الديار والأمصار، وليس أدلَّ على ذلك من أن الآيات القرآنية الكريمة كلها، والأحاديث النبوية الشريفة كلها تدعوا إلى الأخوّة والوئام والاندماج والانسجام، يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾الأنبياء: ٩٢، ويقولﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾الحجرات: ١٠.

وفي الوقت نفسه تمنع من التقاتل والتناحر والتشرذم قال تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴾ آل عمران: ١٠٣، وقديمًا قيل: اتباع الأهواء يُفرِّق؛ والحب والإخاء يجمِّع؛ وإن الاتحاد قوة والتفرق وهن وضعف؛ وإن سبيل الله واحدة وسبل الشيطان متفرقة فمن تبعها فقد ضل وغوى[1].قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ... ﴾ الأنعام: ١٥٣، ويقول النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ/ بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ٩/ ٤٢٢٨، الطبعة: الرابعة، دار الوسيلة – جدة.

فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه(٢)**، ويقول ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ »**(٣).

قال المناوي: «المراد: بعض المؤمنين لبعض كالبنيان، أي الحائط لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البنيان يُقوَّى ببعضه ثم شبك بين أصابعه تشبيهًا لتعاضد المؤمنين بعضهم ببعض كما أن البنيان المُمَسِّك بعضُه ببعض يشد بعضه بعضًا»(٤).

إن توحيد صفوف المسلمين ورصِّها وجمع كلمتهم واجب ديني وفريضة شرعية، فقد روي الإمام مسلم رحمه الله بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : ١٣٩/١٦ . دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية – بيروت، ١٣٩٢هـ.

(٣) صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره،، ١ /١٠٣، طبعة: ١٣١٢هـ، المطبعة الأميرية الكبرى- بولاق- مصر.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير/ عبد الرؤوف المناوي: ٢٥٢/٦، حديث رقم: ٩١٤٣ الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ – ١٩٧٢ م، دار المعرفة- بيروت – لبنان.

قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ»(١).

والمراد من الاعتصام بحبل الله هو التمسك بعهده واتباع كتابه العزيز، وإقامة حروفه وحدوده والتأدب بأدبه والمراد من عدم التفرق لزوم جماعة المسلمين، وتعاون بعضهم مع بعض وهي من قواعد الإسلام.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، ٣/١٣٤٠، حديث رقم: ١٧١٥

المبحث الأول: التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأثر ذلك على وحدة المسلمين

منذ أن ابتلي المسلمون بتداعي الأمم عليهم، فأسقطوا دولتهم المتمثلة في الخلافة الإسلامية العثمانيَّة، والفتن من قبل أعدائهم تعصف بهم عصفاً، قتلاً وتشريداً واعتقالاً، ولا يخفى على ذي بصيرة أن السبب في هذا كله، إنما هو تفرق الكلمة وتشرذم الصف، لهذا، ولهذا فقط وجب على المسلمين أن تتوحد كلمتهم، وأن يجتمع صفهم بعد طول تفرق، ولا شك أن أول موحد للكلمة وأول جامع للصف إنما هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

إنَّ التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يربط المسلمين برباط عقدي وثيق ويقيم بين كافة المتمسكين بهما علاقة الأخوة الإيمانية، التي تنصهر فيها كافة الأعراق والأجناس وينخرط في عقدها كل من نطق بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، مهما تباعدت الديار وتناءت الأقطار والأمصار، يقول الله ﷻ:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ الحجرات: ١٠، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٩٢، فالمسلمون جميعًا كأغصان شجرة واحدة انبثقت من أصل واحد وسقيت من معين واحد، فلا فرق بين أسود و أحمر ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وقد حث الإسلام المسلمين على توحيد الصف والاتفاق ومنَعَهم من التفرق والشقاق ولقد أمر الله ﷻ المسلمين قائلاً: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦، ولو ربطت بين

قول الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ لوصلت إلى حقيقة مفادها: أن التمسك بالكتاب والسنة هو طريق الوحدة والنجاة من الفرقة، والإمامُ الشافعيُّ رحمة الله تعالى عليه أحد أبرز رجالات الأمَّة، يرى أنَّ الكتاب والسنَّة هما العاصمان للأمَّة من الفرقة والتشرذم، بدليل أنَّه يعتبرهما المصدران الأولان للتشريع، فقد كان رحمه الله تعالى يُلقَّب بناصر السنة، باعتباره كان مدافعاً عنها بوضعه للقواعد العلمية للأخذ بها، كمصدر ثانٍ للتشريع بعد القرآن، يظهر هذا واضحاً في كتابه «الام» فهو يرجع فيه إلى القرآن الكريم أولاً، ثم إلى السنَّة المطهرة ثانياً، وهو رحمه الله تعالى يعتبر السنَّة مع القرآن في منزلة واحدة، فلا يمكن النظر في القرآن دون النظر في السنة، فهي التي تشرحه وهي التي تبينه، فالقران الكريم يأتي بالأحكام العامة والقواعد الكلية، والسنة المطهرة هي التي تفسر ذلك، فهي التي تخصص عموم القران أو تقيد مطلقه، أو تبين مجمله، وفي هذا المبحث سنتطرق بإذن الله تعالى إلى الحديث عن التمسك بكتاب الله ﷻ أولاً، يليه الحديث عن التمسك بسنة رسول الله ﷺ ثانياً.

المطلب الأول

التمسك بكتاب الله تعالى وأثر ذلك على وحدة المسلمين

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم عند أهل السنَّة والجماعة هو المعجزة الأولى من معجزات هذا الدين فضلاً عن أنَّه المصدر الأول للعقيدة وللشريعة الإسلاميَّة من هنا فإن القدح فيه ومحاولة النيل من قداسته يعتبر إخلالاً بهذا المصدر، الأمر الذي يترتب عليه بطلان الوحي وارتفاع الأمر والنهي ومن ثمَّ الفرقة والتشرذم بين قطاعات الأمَّة، وإنَّ المظهر الأبرز من مظاهر التمسك بالكتاب الكريم هو الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شكٌ، ولا يمازجه ريبٌ، أنَّ القرآنَ الكريمَ هو كلامُ الله تعالى، ووحيهُ إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: «وَلا نُجَادِلُ في القرآنِ، ونَشْهَدُ أَنَّهُ كَلامُ رَبِّ العالَمينَ، نَزَلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ فعَلَّمَهُ سَيِّدَ المرسلين مُحَمَّدَاً صلى الله عليه وعلى آلِهِ أجمعينَ. وهو كَلامُ الله تعالى لا يُساويه شيءٌ مِنْ كلامِ المَخْلُوقينَ، ولا نقولُ بخَلْقِهِ، ولا نُخالِفُ جماعَةَ المُسلِمينَ»(١) قال ذلك: ردَّاً على من قال بخلق القرآن، وأنَّه بقوله البائس يخالف جماعة المسلمين، فهو قول يفضي إلى وصف إحدى صفات الله تعالى بأنّها مخلوقة –تعالى الله ﷻ عمَّا يقول الظالمون علوَّاً كبيراً–، وهذا كفرٌ صريحٌ يشتت شمل الأمة ويباعد بين قلوبها، لذلك فإنّ أهل السنة والجماعة متفقون والحمد لله رب العالمين على

(١) متن العقيدة الطحاويّة، بيان عقيدة أهل السنَّة والجماعة/ للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي، ص: ٢٠، الطبعة الأولى:١٤١٦هـ– ١٩٩٥م، دار ابن حزم.

أنّ القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ، وليس بمخلوق.

واللالكائي رحمه الله تعالى ذكر طبقات تلو طبقات من الصحابة والتابعين ثم أتباعهم ممن يصرحون بأن القرآن كلام الله غير مخلوق(١). وذكر غيره نحو ذلك أو قريباً منه، فهذا اتفاق عند السلف، فمن خالفهم فقد خرج عن أن يكون من جماعة المسلمين، وهذه هي الفرقة بعينها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء:١١٥، وهذه الآية من أصرح وأقوى الأدلة على أن مخالفة الإجماع لا تجوز، وإذا كانت المخالفة في العقيدة؛ فالمخالف ضال زائغ مبتدع وقد يكون كافراً بحسب ما خالف فيه، قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى «ونتبع السنَّة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة»(٢) وعليه فإن مخالفة الجماعة، ليس إلا فرقة وعذاباً، وزيغاً وبدعةً وضلالة.

إنّ فتنة القول بخلق القرآن كانت ظاهرة في عهد الشافعي رحمه الله تعالى ولكنَّها قويت واشتد ساعدها في عهد المأمون بعد وفاة هارون الرشيد رحمه الله تعالى فقد شغلت تلك الفتنة بال المسلمين أيّام الخلافة العباسيّة

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنَّة وإجماع الصحابة، والتابعين ومن بعدهم/ للإمام هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، ١/٢٥٣– ٣٤٤، تحقيق: الدكتور/أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة

(٢) متن العقيدة الطحاويَّة، ص: ٢٤.

ردحاً من الزمان ترتب عليها شقّ عصا الوحدة بينهم وشتّتتهم إلى طوائف وأَراقت دماءهم، ونهبت أموالهم وقد تصدَّى أئمة الحق والخير لتلك الفتن، وقد فطن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لتلك المسألة التي تفت في عضد الأمة فنجده يقول بما قال به أهل الحق، أهل السنَّة والجماعة، ذلك أنّه لمَّا قال حفص الفرد: «القرآن مخلوق، قال الشافعي: «كفرت بالله العظيم»[١]، من هنا فإن أبرز معالم وحدة الأمة هو أن تجتمع حول المصدر الأول لهذه العقيدة وأن لا يقول فيه أحد من قطاعاتها إلا بما قاله الله ﷻ وما قاله رسوله ﷺ وإلا فالعاقبة وخيمة وأبرز دليل على ما نقول هو واقع حال الأمَّة في هذا الزمان؛ إذ لم تشهد الأمة عاقبة أوخم من العاقبة التي تعيشها في هذا الزمان.

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ١/ ٢٧٨.

المطلب الثاني

التمسك بسنة الرسول ﷺ وأثر ذلك على وحدة المسلمين

السنة النبوية من بعد القرآن الكريم عند كل ذي لب، هي سفينة النجاة إلى شاطئ السلامة وبر الأمان لكل من أراد أن ينجو وأن يأمن، ولقد حث النبي ﷺ على التمسك بها وعدم التفريط فيها لا سيَّما حين يكثر الشر والفساد، وفي مقدمة ذلك تشرذم الأمة وتفرقها، ذلك أنَّه من أهم فوائد وثمرات الالتزام بالسنة أنها تمنع من الوقوع في الخلافات التي تؤدِّي إلى التفرق والعداوات، روى الْعِرْبَاضُ بن سارية ﷺ قال: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ...»[١].

في هذا الحديث الذي يشع نوراً يوضح المصطفى ﷺ في موعظةٍ بالغةٍ، حرصه على أمته من أن تصاب بما أصيبت به الأمم من قبلها، والذي يوضح فيه

(١) سنن أبي داود/ أبو داود سليمان بن الأشعث ...السِّجِسْتاني، كتاب السنَّة، باب لزوم السنَّة ٤/ ٢٠٠ حديث رقم: ٤٦٠٧، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي بيروت، قال الألباني: صحيح ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل/ محمد ناصر الدين الألباني ٨/ ١٥٠، الطبعة : الثانية - ١٤٠٥ – ١٩٨٥، المكتب الإسلامي – بيروت.

أيضاً أنه ترك أمته على المحجة البيضاء، وهي الدين الحق والصراط المستقيم، من تمسك به نجا، ومن تركه غوى، وبيَّن ﷺ بأن من امتد به عمره فسيرى اختلافاً كثيراً والمخلص من ذلك الاختلاف سنته وطريقته ﷺ وطريقة الخلفاء الراشدين والصحابة المهتدين رضي الله عنهم أجمعين، وأوصاهم أن يعضوا عليها بالنواجذ، وذلك كناية عن شدة الاتباع، وعظيم التمسك بها.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: «والبدعة مقرونة بالفرقة كَمَا أن السّنة مقرونة بِالْجَمَاعَة فَيُقَال: أهل السّنة وَالْجَمَاعَة كَمَا يُقَال: أهل الْبِدْعَة والفرقة..»[1]، ولقد كان الإمام الشافعي رحمه الله من أعقل عقلاء الأمة ليس إلا لتمسكه بالسنة، فقد سئل عن مسألة، فأجاب عليها بحديث النبي ﷺ، فقيل له: ما رأيك أنت؟ قال: «أعوذ بالله! أتروني في كنيسة؟ أتروني في وسطي زناراً ؟ أتروني في بيعة ؟ أقول: قال رسول الله، فتقولون: ما رأيك أنت؟ منكراً عليهم»[2].

هذا هو منهج السلف رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسانٍ، وهو السير على ما ثبت عن رسول الله ﷺ، قَالَ يُوْنُسُ الصَّدَفِيُّ: «مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ نَاظَرْتُهُ يَوْماً

---

(١) الاستقامة/ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية، ٤٢/١، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة.

(٢) انظر: مناقب الشافعي/ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ص:٤٧٤/١، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى: دار التراث القاهرة، ١٣٩٠هـ– ١٩٧٠ م والفرقانُ بينَ أولياءِ الرَّحمَنِ وأولياءِ الشَّيْطانِ/ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ص: ١٧٧ تحقيق: د. عبد الرحمن اليحيى، دار الفضيلة

فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِيَنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوْسَى أَلاَ يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُوْنَ إِخْوَاناً وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ»[(١)].

قال الذهبي تعليقاً: «هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ هَذَا الإِمَامِ، وَفقهِ نَفْسِهِ، فَمَا زَالَ النُّظَرَاءُ يَخْتَلِفُوْنَ»[(٢)].

ولقد صدق الإمام الذهبي رحمه الله في تعليقه ذلك أن المصلحة الكبرى التي يجب إبقاءها إنما هي المودة بين المسلمين، وكذلك تلافي وقوع البغضاء والعداوة بينهم فإذا كان المخالف راغباً عن السنة سقطت مودته.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عليهما: «سمعت أبي يقول: قال الشافعي لنا: أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلموني إن شاء الله يكون كوفياً أو بصرياً أو شامياً أذهب إليه إذا كان صحيحاً»[(٣)].

وفي هذا المقام أجد من المفيد أن أذكر بعضاً من أقوال الشافعي رحمه الله تعالى وتوجيهاته لطلابه، وتوصياته لأصحابه بإتباع السنة، من هذه الأقوال:

---

(١) سير أعلام النبلاء/ الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي،١٦/ ١٠ تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر/ الإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور،٢١/ ٣٧٠ اختصار وتحقيق: سكينة الشهابي، ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار الفكر – دمشق.

(٢) سير أعلام النبلاء:١٧/ ١٠.

(٣) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء/ أبو يوسف عمر بن عبد البر، ص: ١٢٧، مكتبة المطبوعات الإسلاميَّة بحلب.

«قَالَ حَرْمَلَةُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: «كُلُّ مَا قُلْتُهُ فَكَانَ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ خِلاَفُ قَوْلِي مِمَّا صَحَّ، فَهُوَ أَوْلَى، وَلاَ تُقَلِّدُوْنِي، وقال الرَّبِيْعُ بن سليمان: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: إِذَا وَجَدْتُمْ فِي كتَابِي خِلاَفَ سُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَقُوْلُوا بِهَا، وَدَعُوا مَا قُلْتُهُ"، وسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ – وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : «تَأْخُذُ بِهَذَا الحَدِيْثِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ فَقَالَ: مَتَى رَوَيْتُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ حَدِيْثاً صَحِيْحاً وَلَمْ آخُذْ بِهِ، فَأُشْهِدُكُم أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ».[1]

نختم هذا المبحث بما قد بدأناه، وهو أن كل قطاعات الأمَّة لو ألزمت نفسها بما ألزم به الشافعي رحمه الله تعالى نفسه من تمسك بالسنَّة، لما وجد الخلاف ولا التشرذم إليها سبيلاً.

---

(١) مناقب الشافعي، ١/ ٤٧٣، ٤٧٤ .

المبحث الثاني

الإيمان وأثره على وحدة المسلمين

التآلف الحقيقي للقلوب إنما يكون بالإيمان بالله ﷻ وحده، فهو الذي يؤلف بين القلوبِ المتناكرة، ويجمع شمل الطوائفِ المتناحرة، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال:٦٣ وفي سورة براءة ذكر سبحانه أيضاً جملة من أخلاقهم وذلك في قوله ﷻ:﴿ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٧١، وقال رسول الله ﷺ «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[1]، فقد كان الإيمان بالله ﷻ بلا نزاع الأساس في قوتهم، وهو الأثر الفاعل في وحدتهم لكن قبل المضي قدماً في هذا الحديث فإن ما نود قوله: إنّ مقصودنا من الحديث عن الإيمان، ليس الحديث عن الركن أو الأركان، فإنه ليس من خلاف عند أحد من سلف الأمَّة أن الإيمان يتفرع إلى ستة أركان، وإنما نقصد شرط الصحة في الإيمان، فإنَّ أصحاب محمد ﷺ قد تلقوا الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً من رسول الله ﷺ ومن معايشتهم للوحي،

(١) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجنَّدة ٤/ ١٣٣.

وجاهدوا وضحوا وعملوا بهذا الإيمان لأجل تحقيقه واستكماله، فهم أعلم الناس به وأعرفهم بحقيقته، وقد تلقى ذلك عنهم التابعون لهم بإحسان، ثم تلقته الأجيال بعد الأجيال، حتى بلغنا غضاً طرياً.

من هنا فإن الأمة إذا أرادت توحداً فعليها أن تتلقى الإيمان كما تلقاه أصحاب محمدٍ ﷺ ومن بعدهم، وإن من أبرز الذين تلقوا الإيمان كما تلقاه أصحاب محمد ﷺ إنما هو الأمام الشافعي رحمه الله رحمة واسعة، فعن الرَّبِيْعِ ابن سليمان قَالَ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يقول: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[١]، وسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: تَجَاوَزَ اللهُ عَمَّا فِي القُلُوبِ، وَكَتَبَ عَلَى النَّاسِ الأَفْعَالَ وَالأَقَاوِيْلَ[٢].

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب ألا ترى قول الله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ البقرة: ١٤٣ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، سمى الصلاة إيماناً وهي قول وعمل وعقد»[٣].

هذا هو التصور الصحيح للإيمان ولا يجوز بأي حال من الأحوال الحيدة عنه كأن يقول في الإيمان قولاً غير هذا القول الذي تلقته الأمة بالقبول فهذا مما لا يبشر بخير مطلقاً، ذلك لأنه يفرق صف المسلمين في الوقت الذي يحتاج فيه المسلمون إلى الوحد والتماسك.

---

(١) الجامع لشعب الإيمان/ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ١/١٦٢، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد – الرياض،١٤٢٣هـ – ٢٠٣٣م.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٨/ ٢٤٧.

(٣) الانتقاء ، ص: ١٣٥.

المطلب الأول

عقيدة التوحيد وأثرها على وحدة المسلمين

إنَّ من أعظم النعمِ التي أنعم الله ﷻ بها على المسلمين أن جعل لهم ديناً حقًّا أراده ﷻ لهم ودلَّهم عليه، ويظهرُ أثرُ هذه النعمةِ عند النظر إلى غيرهم من الذين يتخبطون في غياهبِ الكفر وليس لهم من هدىً يهتدون به مالم يدينوا بدين الإسلام.

من هنا فإن أوَّل ما يجب على الموحد هو أن يوحد ربَّه كما بين له ﷻ في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله ﷺ، إذ لا أحد أعلم من الله بالله، ولا أصدق خبراً من خبر الله، ولا أصح بياناً من بيان الله؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ... ﴾ النساء: ٢٦ ﴿ ...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ النساء: ١٢٢ ﴿ ...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٨٧.

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الله ﷻ يبين للخلق غاية البيان الطريق التي توصلهم إليه، وهذا الطريق إذا سلكه الإنسان استراح كثيراً، لذلك لما جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله قال: يا أبا عبدالله! ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه: ٥، كيف استوى؟ فأطرق برأسه وقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق»[(١)].

---

(١) العلو للعلي الغفار/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ص: ١٢٩ =

هذا هو الحال الذي كان عليه سلف الأمَّة رحمهم الله تعالى ومن أبرزهم الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه، فقد أورد الذهبي عن المزني قال: قلت: إن كان أحد يخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي فصرت إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحدا لا يعلم علمك فما الذي عندك ؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت ؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون. أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجما في السماء ؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها: تعرف جنسه طلوعه، أفوله، مم خلق ؟ قلت: لا، قال: فشئ تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه ؟ ! ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شئ منه، فقال: شئ تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

= تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، الطبعة الأولى، ١٩٩٥مكتبة أضواء السلف – الرياض.

وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٦٣- ١٦٤ فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك. قال: فتبت.[1]، يفهم من هذا أن الإمام الشافعي رحمه الله حريص كل الحرص على أن لا يتكلف الإنسان علم ما لم يبلغه عقله لما يترتب على ذلك من زيغ أو ضلال، الأمر الذي يفت في عضد الوحدة بين المسلمين، فيترتب على ذلك التفرق والتشرذم لذلك لما تجاوزت بعض قطاعات الأمة هذا المعتقد السليم ضلَّت وأضلت وتفرق وتشرذمت وليس من سبيل إلى الخروج من هذا المأزق إلا بأن يعود أولئك أدراجهم إلى التوحيد الصحيح الذي أراده الله ﷻ منهم.

من هنا فإنه لن تقومَ للمسلمين قائمة ولن ترتفعَ لهم هامة ما لم يعتصموا بعقيدة التوحيد التي دعا إليها الإسلام، إن طريق التمكين لا بد فيه من وحدة الصف الإسلامي، ووحدة الصف ليس لها من سبيلٍ إلا التوحيد، فقد جاء رسول الله ﷺ والأمة تعبد الأصنام وتقدس الأوثان، منهم من قد اتخذ سبعاً من الآلهة، فعَنْ عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي حَصِينٍ: «كَمْ تَعْبُدُ إِلَهًا؟» قَالَ: سَبْعَةً سِتًّا فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تُعِدُّ لِرَغْبَتِكَ وَلِرَهْبَتِكَ»؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ: «يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ» فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي كَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي»[2]، ودَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣١/١٠.

(٢) الآحاد والمثاني/ أبو بكر بن أبي عاصم ، أحمد بن عمرو بن الضحاك، ٣٢٣/٤، تحقيق: د. =

نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: «جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»(١).

وقد استمر الأمر على هذا الحال ثم بدأ الانحراف بعد ذلك عن هذه الجادة بسبب الانصراف جزءاً أو كلاً عن عقيدة التوحيد من ذلك حيدة كثير من الناس عن الصواب فيما يتعلق بالإيمان بصفات الله ﷻ تكييفاً، أو تأويلاً، أو تمثيلاً، أو حتى تعطيلاً، وكذلك الحالة في عبادة الله ﷻ حيث لم يقتصر الأمر على ما جاءت به عقيدة التوحيد، حتى أصبح الناس في العبادة نتيجة لجهلهم ما بين مُفْرِطٍ ومُفَرِّطٍ، وفي هذا المبحث الذي بين أيدينا نطرح بعضاً من المطالب ذات العلاقة بتوحيد الله ﷻ توحيداً صحيحاً مسترشدين بما كان عليه سلفنا الصالح رحمهم الله جميعاً لا سيَّما الإمام الشافعي الأمر الذي أبقى الأمة في زمانهم متوحدة قوية متماسكة.

= باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة: الأولى، دار الراية – الرياض١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(١)- صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل تكسر الدنان... ١٣٦/٣.

المطلب الثاني

توحيد الأسماء والصفات وأثره على وحدة المسلمين

منهج أهل السنَّة والجماعة في هذا الباب، باب أسماء الله الحسنى وصفاته العلا سبحانه وتعالى، أنَّهم يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الله تعالى وحده هو المستحق لأن يسمى بأسماء الجلال، و أن يوصف بصفات الكمال، على الوجه اللائق به تعالى، قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»[1].

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة...»[2]، إلا أنَّ طوائف من هذه الأمة ممن ينتسبون للإسلام ضلَّت طريقها فيه، فمنها من غلت فيه غلوّاً يخرجها من الإسلام، ومنها من توسطت ومنها من اقتربت من أهل السنة ومعلوم ما في هذا من شرذمة للصف، وتفريق للكلمة، ولو أنهم ألزموا أنفسهم طريقة السلف الصالح ﷺ لسلموا ولعملوا على تماسك الأمَّة ووحدتها ولما كانوا يوماً سبباً في فرقتها، ولقد كان الإمام الشافعي رحمه الله ﷺ من أبرز أعلام الأمَّة الذين عملوا على تماسك الأمَّة، وتوحيد كلمتها في هذا الصدد وغيره، فقال رحمه الله في أول خطبة

(١) مجموعة الرسائل الكبرى "العقيدة الحموية الكبرى"/ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: شيخ الإسلام/ ١/ ٤٣٨، دار إحياء التراث العربي.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن ابن عبد البر ٢ / ٩٦، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان – الطبعة الأولى، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

الرسالة: «الحمد لله... الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه»[(١)] وسئل رحمه الله عن صفات الله تعالى وما يؤمن به فقال: «لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحداً قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأمّا قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر، ولا نكفِّر بالجهل بها أحدا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفاه عن نفسه»[(٢)]

(١) انظر: الرسالة/ للإمام المطلبي، محمد بن إدريس الشافعي، ص:٨ تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار الكتب العلميَّة– بيروت.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٧٩.

المطلب الثالث

حكم مرتكب الكبيرة وأثر ذلك على وحدة المسلمين

أمر الله ﷻ بترك معصيته، لما في ذلك من مخالفة لأمره، وإتيان لنهيه، وفي ذلك من غضب الله تعالى ما فيه، فإن الله تعالى يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه ربُّه،ﷻ، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»[1]، لكن العصيان درجات:

فمنه: ما هو كبائر، وهي عظائم الذنوب.

ومنه: من هو صغائر، وهي: اللمم من المعاصي.

وقد اختلف الفقهاء في عدد هذه الكبائر:

فمنهم: من ضيق فيها.

ومنهم: من وسع وفي معزل عن هذا وذاك، فإن المرء مطالب بترك المعاصي صغيرها وكبيرها، إلا أن المرء قد يخطئ، ليس مرة واحدة بل مرات عديدة، لكنه إذا علم أن رحمة ربه واسعة، وأنَّه يجد له فيها متسعاً إذا تاب إلى ربّه وأناب، فإنَّه في هذه الحالة يبقى قريباً غير بعيد، بالرغم من أخطائه غير المكفرة، ومن ثمَّ تكون الوحدة والاتفاق والوئام هي سيدة الموقف، إلا أن أقواماً تأبطوا بالأمَّة شرّاً، فلم يريدوا لها إلا الفرقة وإلا الاختلاف، من خلال أحكام ما أنزل الله بها من سلطان، فقد كفَّر الخوارج مرتكب الكبيرة إذا لم يتب، وحكموا عليه بالخلود في النار، والمعتزلة والمرجئة ليسوا بأحسن حالاً

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ٣ / ٣٢٣، حديث رقم:٥٢٢٣، المكتبة السلفيَّة – القاهرة.

من الخوارج، فقالت المعتزلة: «هو في منزلة بين المنزلتين، ليس بمؤمن وليس بكافر».

وقالت المرجئة: «لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة»[(١)]، وهدى الله ﷻ أهل السنَّة والجماعة لما فيه خير البلاد والعباد، من ألفة ومحبة واتفاق، ووفاق، وغير ذلك من معاني الوحدة وعدم الفرقة، فقد اتفقوا على أنَّ المؤمن لا يخرج من الإيمان بارتكابه الكبيرة ما لم يعتقد حلَّها، وإن مات قبل التوبة منها فإنَّه لا يخلد في النار، وأمره إلى الله جلَّ في علاه، إن شاء سبحانه رحمه وإن شاء عذَّبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنَّة برحمته.

وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله طَوداً مُنيفاً في هذا المعتقد الذي يريح النفس ويطمئن القلب، ويشرح الصدر، وهي كلُّها بلا أدنى شك معانٍ تجمع المؤمنين جميعاً على قلب رجل واحد، فنجده رحمه الله يقول في مرتكب كبيرة التولي يوم الزحف: «أَمَّا الَّذِينَ يَجِبُ عليهم السَّخَطُ فإذا فَرَّ الْوَاحِدُ من اثْنَيْنِ فَأَقَلُّ إلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزًا... إنَّمَا يَصِيرُ الْأَمْرُ في ذلك إلَى نِيَّةِ الْمُتَحَرِّفِ وَالْمُتَحَيِّزُ فَإِنْ كان اللَّهُ عز وجل يَعْلَمُ أنه إنَّمَا تَحَرَّفَ لِيَعُودَ لِلْقِتَالِ أو تَحَيَّزَ لِذَلِكَ فَهُوَ الذي اسْتَثْنَى اللَّهُ فَأَخْرَجَهُ من سَخَطِهِ في التَّحَرُّفِ وَالتَّحَيُّزِ وَإِنْ كان لِغَيْرِ هذا الْمَعْنَى خِفْت عليه إلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ تَعَالَى عنه أَنْ يَكُونَ قد بَاءَ بِسَخَطٍ

---

(١) انظر: تفصيل معتقدات أولئك في: الفصل في الملل والأهواء والنحل/ للإمام أبي محمد على ابن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، ٣ / ٢٧٣ وما بعدها، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت.

من اللَّهِ»[1]، وقد استند رحمه الله في عقيدته هذه إلى نصوص من الكتاب الكريم والسنَّة المطهَّرة، فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات: ٩.

قال رحمة الله تعالى عليه: «... وسمَّاهم الله تعالى المؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهم ...وأمر الله ﷻ بقتال الفئة الباغية، وهي مسمَّاة باسم الإيمان حتى تفيئ إلى أمر الله، فإن فاءت لم يكن لأحد قتالها...»[2]

ومن السنَّة ما رواه عبادة بن الصامت ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»[3].

---

(١) الأم/ للإمام محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، ٥/ ٣٩٣، تحقيق وتخريج الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء.

(٢) تفسير الإمام الشافعي لأبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي/ جمع وتحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن مصطفى الفرَّان ٣/ ١٢٧١، الطبعة الأولى:١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار التدمريَّة – الرياض.

(٣) صحيح مسلم،١٣٣٣/٣،كتاب الحدود، باب الحدود كفارة لأهلها، حديث رقم:١٧٠٩.

المبحث الثالث

الإيمان بالقضاء والقدر وخلق أفعال العباد وأثر ذلك على وحدة المسلمين

الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول العقيدة الإسلاميَّة، لذلك لمَّا سُئل رسول الله ﷺ عَنْ الإِيمَانِ قَالَ: «..أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ...»[١]، والنصوص المخبرة عن القدر كثيرة، منها قوله تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ الفرقان: من الآية"٢".

وعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ[٢]...»[٣].

وقال ابن عمر أيضاً لما أخبر عن قول مَعْبَد الْجُهَنِيِّ «أَنْ لا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ» قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[٤] .

---

(١) المصدر السابق ،كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، ١/٣٧، حديث رقم:١.

(٢) العجز: عدم القدرة على الطاعات، والكيس: النشاط والجد في الأمور. انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ١٦/٢٠٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر،٤/ ٢٠٤٥، حديث رقم:٢٦٥٥.

(٤) المصدر السابق: ، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإحسان، ١/ ٣٦، حديث رقم ٨

– مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة/ عبد الله بن أسعد اليافعي ١/ ٨٤، تحقيق : =

المطلب الأول

الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على وحدة المسلمين

القضاء والقَدَر موضوع عظيم القَدْر، والإيمان به ركن من أركان الإيمان، وهو بهذا الاعتبار يُجَمِّع ولا يُفَرِّق، إلا أنه -وهو أمر يؤسف له- كثُرت فيه الشبهات والتساؤلات، ومما يؤسف له أكثر أنه في هذا الزمان اجتمعت شبهات الماضين مع شبهات المعاصرين، فبعدت على النَّاس الشقَّة من حيث التشرذم والفرقة، ونحن في هذه الكلمات المتواضعات نود أن نذَكِّر بأصل المسألة، علَّ الله ﷻ أن يفتح بها قلوباً غلفاً، وآذاناً صمَّاً، وأعيناً عمياً، فتسهم في رد الأمة إلى صوابها والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

لأهميَّة هذه المسألة وحساسيتها لم يغب عن ذهن الإمام الشافعي رحمه الله أن يبين عقيدته فيها، فتكلم في إثبات قدر الله تعالى بجميع مراتبه التي وردت بها النصوص، فأثبت علم الله تعالى السابق ومشيئته وإرادته وخلقه، وتكلم عن أفعال العباد، أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال: سئل الشافعي رحمه الله تعالى عن القدر فقال :

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْت ... فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْت ... وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ

= محمود محمد نصار، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢.

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ(١)

وقال رحمة الله تعالى عليه: «المشيئة إرادة الله وقد اعلم الله خلقه ان المشيئة له دونهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الإنسان: ٣٠، فليست للخلق مشيئة الا ان يشاء الله»(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾. البقرة: ٢٠

هذا المعتقد الذي عليه الشافعي رحمه الله، هو في حقيقة الأمر أصل من أصول أهل السنة قامت عليه البراهين، وهو أن الله ﷻ خالق كل مخلوق ويستحيل أن يخلق المخلوق شيئاً، والإرادة شرط في الخلق ويستحيل ثبوت المشروط بدون شرطه، هذا المعتقد من شأنه وبلا أدنى شك أن يوحد الأمَّة ويجمع على الحق كلمتها، أما أن يأتي أناس فيكذبوا المنقول ويعاندوا المعقول، فيقول فريق منهم: الأمر مستقبل وأن الله لم يقدر الكتابة والأعمال، وفريق ثانٍ يقول: القول يجزي عن العمل. وثالث يقول: المعرفة تجزي عن القول والعمل، ورابع يقول: إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون، الأمر الذي حدا برسول الله ﷺ أن يقول: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلاَ

(١) السنن الكبرى/ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ٢٠٦/١٠، الطبعة الأولى . ١٣٤٤ هـ، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد – الهند.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٣ / ٤٤٩ دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.

تَشْهَدُوهُمْ»[1]، والذي حدا بوكيع بن الجراح شيخ الإمام الشافعي أن يقول: «هو كله الكفر»[2]. يقولون هذا وهم يعلمون أن الأدلة على إثبات القضاء والقدر كثيرة جدّاً في كتاب الله الكريم وسنَّة رسول الله ﷺ المطهرة، وفيما يلي سرد طرف منها:

أولاً: الأدلَّة من الكتاب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩.

وقوله تَعَالَى: ﴿ ...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ الأحزاب: ٣٨ وقوله تَعَالَى: ﴿ ...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢، وكان مما قاله الإمام الطبري –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾، إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها فأتمه في علمه أن يخلق خلقاً، ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثوابا لأهل طاعته وعقاباً لأهل معصيته فلما ائتمر ذلك

(١) سنن أبى داود/ للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، ٤/٢٢٢، كتاب السنَّة، باب في القدر، حديث رقم: ٤٦٩١ الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار ابن حزم- بيروت. قال الشيخ الألباني: حسن انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته/ لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين لألباني، ٢/ ٨١٨ ، حديث رقم: ٤٤٤٢، المكتب الإسلامي.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية/ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ١/٣٠٠، الطبعة الثانية- ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م مؤسسة الخافقين — دمشق.

الأمر قدَّره فلما قدَّره كتب وغاب عليه فسماه الغيب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب، أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم وقرأ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ ﴾- نفد ذلك[(١)]- ﴿ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ ﴾ الأعراف: من الآية٣٧

ثانياً: الأدلَّة من السنة:

دلت السنَّة كما الكتاب على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل عليه السلام وسؤاله النبي ﷺ عن أركان الإيمان؟ فذكر منها: «... وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ...»[(٢)].

وروى مسلم بسنده المتصل عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ...»[(٣)] .

هذا الخلاف الذي أشرنا إليه مما لا يبشر بخير مطلقاً، ليس إلا لأنَّه يحدث النزاع والشقاق بين صفوف الأمَّة، لا سيَّما وأنه أصل من أصول العقيدة الإسلامية، من هنا فإنه من أراد أن ينأى بنفسه عن الفرقة والخلاف وأراد أن

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير الطبري ، ٣٠٤/١٠، تحقيق : أحمد شاكر، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل/ أحمد بن حنبل، ٤٣٥/١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج موسى وآدم ٢٠٤٤/٤، حديث رقم:٢٦٥٣.

يكون من الناجين فليقتد وليتأسى بالإمام الشافعي رحمه الله وليلحق بركب أهل السنَّة والجماعة.

المطلب الثاني

الإيمان بخلق أفعال العباد وأثره على وحدة المسلمين

هذه المسألة من جملة مسائل كثيرة تباينت فيها أراء وأقوال الفرقاء في الأمَّة حتى أضحت سبباً في فرقتها وشرذمتها، حيث قال فريق منهم:

إن الأفعال هي أفعال الله والعباد مجبورون على أفعالهم، ليس لهم من الأمر شيء، فهم كالريشة في الهواء وأعظم ما يستدلون به حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنْ الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ»[١]، وهي فكرة قديمة موروثة أخذوا يتلمسون ويبحثون لها عن حجج واهية، أو متشابه من الكتاب والسنة يفهمونها فهماً خاطئاً ثُمَّ يدعون أنها بينات، والصحيح أن آدم عليه السلام لم يحتج بالقضاء والقدر عَلَى الذنب، وإنما وقع اللوم عَلَى المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم بالقدر عَلَى المصيبة لا عَلَى الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعايب،

(١) صحيح البخاري،٢/ ١٥٨، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره.

وقال فريق ثانٍ: إنَّ أفعال العباد اختيارية بل زادوا على ذلك فقالوا: إنَّ العباد هم الذين خلقوا أفعالهم، فالعباد هم الذين خلقوا الطاعات والمعاصي، وخلقوا الخير والشر، وباشروها، مدَّعين أن هذا تنزيه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا من توحيد الله، مع أن هذا هو الشرك بعينه؛ لأن إثبات خالقين ليس توحيداً وإنما هو الشرك، وكان أن هدى الله ﷻ أهل السنَّة والجماعة لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فذهبوا إلى أن أفعال العباد خلق الله ﷻ وكسب من العباد، خلقها الله تعالى وباشرها العباد مختارين، فصاروا بها عصاة ومطيعين فهي إذاً من الله خلقاً وتقديراً، ومن العبد فعلاً وتسبباً وكسباً ومباشرةً، فالله ﷻ يقول: ﴿ ...أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ الرعد:١٦، فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر، ونفى أن يكون خالق غيره، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لله ﷻ لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون بعض وهذا خلاف الآية، ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله ﷻ خالق الأعيان والناس خالقوا الأفعال لكان خلق الناس أكثر من خلق الله، ولكانوا أتمَّ قوة منه وأولى بصفة المدح منه سبحانه ولأن الله ﷻ قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات:٩٦ فأخبر أن أفعالهم مخلوقة لله ﷻ، والإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه كان من أسبق الناس الذين ظلُّوا على الجادَّة، يفهم ذلك من قوله رحمه الله تعالى: «إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا

أعمالهم، وهي خلقٌ من خلق الله تعالى... »[1].

إذاً وحدة الأمَّة وتماسكها تكمن فيما ذهب إليه أهل السنَّة والجماعة وفي مقدمتهم الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه.

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / أحمد بن الحسين البيهقي ص: ١٦٠، تحقيق : أحمد أبو العينين، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٠م، دار الفضيلة – الرياض.

المبحث الرابع

تعظيم قدر الصحابة ﷺ وأثره في وحدة المسلمين

تعظيم قدر الصحابة موضوع من أهم موضوعات العقيدة، والإنسان الذي يتعامل معه بإيجابيَّة فهو مؤمن صحيح الإيمان، وعلى العكس من ذلك، فإن الذي يتعامل معه بسلبيَّة، فهو إنسان مطعون في إيمانه، قد يفضي به ذلك والعياذ بالله ﷻ إلى المروق من دين الله رب العالمين، ليس إلا لأنهم رضوان الله تعالى عليهم جميعاً حَمَلَة هذا الدين كتاباً وسنَّة، من هنا فإنَّ الطعن فيهم هو طعن في كتاب الله الكريم، وهو طعن من بعد في سنَّة النبيِّ ﷺ المطهرة، وذلك صريح الكفر، كيف لا والكتاب الكريم والسنَّة المطهرة هما المصدران الأولان لهذا الدين، وتعظيم قدر الصحابة في أصله، موضوع يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت، يقرِّب ولا يباعد، وهذا هو حال أهل السنَّة والجماعة، الذين يعرفون للصحابة ﷺ قدرهم، وفي الصفحات القليلة الآتية، نحاول أن نبرز لنسترشد ولنهتدي بصرح عظيم من صروح الأمة، الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه وكيف أنزل الصحابة الكرام منزلتهم التي يستحقون، الأمر الذي أسهم من خلاله رحمه الله في وحدة الأمة وتعاضدها وتماسكها وترابطها.

المطلب الأول: عدالة الصحابة

عدالة الصحابة عند أهل السنة والجماعة، مما هو معلوم من الدين بالضرورة، والأدلَّة على ذلك كثيرة، منها قول الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح: ١٨، قَالَ جَابِر بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: "أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ..."[(١)]

هذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله ﷻ للصحابة الكرام ﭫ، وهي تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله ﷻ، ذلك أنها تزكية لما في بواطنهم ولما في قلوبهم، التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، ومن هنا رضي عنهم، قال ابن حجر الهيثمي رحمة الله تعالى عليه: «ومن رضي الله تعالى عنه لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام، فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام.

وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه"[(٢)]، ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول النبي ﷺ : «لا يدْخُلُ

(١) صحيح البخاري:٥/١٢٣، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، دار طوق النجاة.

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة/ لأبي العباس أحمد بن محمد ابن حجر الهيثمي، ٢ / ٦٠٥، تحقيق : عبدالرحمن بن عبدالله التركي، وكامل محمد الخراط، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

النَّارَ إن شاءَ اللَّهُ من أصحاب الشَجَرَةِ أحدٌ : الذين بايَعُوا تَحْتَها»[١].

ومن الأدلَّة ايضاً قول الله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ سورة الفتح: ٢٩.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة ﷺ الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظَّمة في الكتب المتقدِّمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ أي فراخه.

﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ أي: شده ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾ أي: شب وطال. ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهو معهم كالشطء مع الزراع ليغيظ بهم الكفار»[٢].

قال الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه : «وقد أثنى الله تبارك وتعالى

---

(١) صحيح مسلم، ١٩٤٢/٤، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة. . حديث رقم: ٢٤٩٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم / للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير، ١٣ / ١٣٥، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م،مؤسسة قرطبة– الجيزة.

على أصحاب رسول الله ﷺ، في القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول اللهﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنَّآهم بما آتاهم منذ ذلك أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول اللهﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله عامَّاً وخاصَّاً وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل»[١]

بمثل هذا الدين المتين الوافي، وهذا العقل الصريح الصحيح الواعي، وهذا الخلق الراقي، التي كان عليها سلف الأمَّة، ومنهم بل ومن أبرزهم الإمام الشافعي،ﷺ وبالاعتراف بالفضل لأهل الفضل، وفي المقابل بأن يرتدع أو يُردع أصحاب الأفكار المنكوسة، والآراء المعكوسة من الاستمرار في تطاولهم وهم أقزام على شواهق الجبال، عندها وعندها فقط، تستطيع الأمَّة أن تنهض موحدة، مترابطة، متماسكة، لا يضرها من خالفها إلى يوم الدين، وأن تستأنف مسيرتها لتكمل مهمَّتها التي بدأها رسول الله ﷺ، ومن حوله صحبه الكرام ﷺ.

المطلب الثاني: سب الصحابة وحكمه

في معزل عن الحديث عن أنواع سبِّ الصحابة ﷺ، والحكم الخاص بكل نوع فإنَّ ما نود قوله: هو أنَّ سبَّ الصحابة ﷺ دركات بعضها شر من بعض، لما فيه من تكذيب لصريح القرآن الكريم والسنَّة المطهرة من الرضا عنهم والثناء عليهم، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليه: «...

(١) مناقب الشافعي، ١/ ٤٤٢، ٤٤٣.

لأن العلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي، ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر»[(١)]؛ لأن مضمون السب وهو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، كاللعن والتقبيح ونحوهما، فيه إيذاء للنبيِّ ﷺ، هذا من جانب، ومن جانب آخر يقتضي أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وبذلك يقع الشك في القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة الشريفة، لأن الطعن في النَقَلَة طعن في المنقول.

قال الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه: «ما أرى الناس قد ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله إلا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع عملهم"، وفي رواية أخرى: "إلا ليجزل الله ﷻ لهم الحسنات وهم أموات»[٣] وكأنِّي بالإمام رحمه الله يشير هنا لا أقول إشارة خفيَّة، بل معلنة للفتنة الكبرى، التي انبثق عنها، السب والشتم واللعن، للصحابة الكرام ﭫ، ولبيان بغضه لهذا الأمر المنكر القبيح الذي ظهر بعد الفتنه، ولا يزال قائماً إلى الآن، ولذلك لن يجتمع شمل الأمَّة حتى ينتهي السفاء عن سفاهتهم، أو يقيِّض الله ﷻ للأمة من يخلصها منهم، ولنا في سيرة صلاح الدين رحمه الله أسوة ومثلاً، إذ تجمَّعت فيه خصال التقوى والإخلاص والحرص على الجهاد، وعُرف رحمه الله بالتنظيم وحسن القيادة، ومكارم الأخلاق، ومواظبته على الصلاة والقيام والصيام، وكان من أبرز أعماله رحمه الله إصلاح أحوال المسلمين من خلال وضع حدٍّ للأفكار والعقائد

(١) انظر: رسالة في الرد على الرافضة/ محمد بن عبد الوهاب، ص: ١٩، تحقيق الدكتور / ناصر ابن سعد الرشيد، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، دار المأمون للتراث.

الإسماعيلية المنحرفة.

المطلب الثالث: الإمساك عما شجر بينهم

منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم، فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكر النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا»(١).

ذكر أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله ﷺ في كتابه الإمامة فقال: «...فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وذكر زللهم وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان الذين مدحهم الله تعالى فقال سبحانه وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠ مع ما أمر النبي ﷺ بإكرام أصحابه وأوصى بحقهم وصيانتهم وإجلالهم»(٢).

---

(١) المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد الطبراني، ٢ / ٩٦، حديث رقم ١٤٢٧ تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، قال الشيخ الألباني رحمه الله ﷺ: روي من حديث ابن مسعود، و ثوبان ، وابن عمر، و طاووس مرسلا، و كلها ضعيفة الأسانيد، لكنَّ الألباني رحمه الله قوَّاه بطرقه وشواهده، فقال: "ولكن بعضها يشد بعضا" انظر: السلسلة الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني، ١/ ٧٥، حديث رقم ٣٤، مكتبة المعارف – الرياض.

(٢) الإمامة والرد على الرافضة/ لأبي نعيم الأصبهاني، ص:٣٧٣، تحقيق د. علي بن محمد بن =

إذا فالإمساك المشار إليه في الحديث الشريف إمساك مخصوص يقصد منه عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى ليس إلا لأننا لم نؤمر به، ولن نسأل عنه، وإنما أمرنا بالاستغفار لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم، قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٣٤، ورحم الله تعالى عمر بن عبد العزيز الذي قال: «تلك دماء طهر الله منها يدى فلا أحب أن أخضب بها لساني».

من هنا فإنَّه إذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذب عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل(١)، وهذا مما نحتاجه في زماننا هذا، حيث ابتليت الأمة المسلمة في جامعاتها ومدارسها بمناهج – بدعوى الموضوعية والعلمية – تخوض فيما شجر بين الصحابة ﷺ بالباطل دون التأدب بالآداب التي علمنا إياها ربنا ﷻ ورسوله ﷺ.

= ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريّة/ لشيخ الإسلام بن تيمية، ٦ / ٢٥٤، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، الطبعة لأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

الخاتمة

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، لا أحصي ثناءً عليه، هو سبحانه كما أثنى على نفسه، على توفيقه لي لكتابة هذا البحث المتواضع الذي أرجو له من الله تعالى القبول، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم؛ إنه سبحانه سميع مجيب الدعاء، وبعد.. فقد اشتملت خاتمة هذا البحث على أهم النتائج والتوصيات التالية.

أولاً: النتائج:

١) أية دعوة إلى وحدة المسلمين لا ينطلق أصحابها من هذا الدين ابتداءً ولم تؤسس عليه، ولم تقم على تحقيق التوحيد، فإنها دعوة سيكتب لها الفشل لا محالة عاجلاً أم آجلاً لأن البناء لا يمكن تشييده إلا على أرض صلبة حتى لا يتعرض للانهيار يوماً من الأيام.

٢) الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كان جبلاً أشمَّاً في حرصه على وحدة المسلمين، وفي الوقت نفسه كان يبغض الفُرقة والتفرق.

٣) إن العمل على توحيد صف المسلمين وتنقية عقولهم مما علق بها من أسباب الفرقة والتمزق واجب على كل مسلم يرجو الله والدار الآخرة.

٤) مقومات الوحدة بين المسلمين قائمة وراسخة، و ليس العيب في الإسلام وإنما في المسلمين.

٥) الأمة الإسلامية تواجه أخطاراً مهولة داخلية وخارجية منظمة، تقوم على رعايتها دول عظمى سخرت كل مواردها من أجل حرب الإسلام والمسلمين، والمسلمون يتناطحون ويتنابذون من أجل أهواء شخصية

وقضايا هامشية شكَّلت سدَّاً منيعاً في وجه وحدة المسلمين.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

١- السعي إلى تثبيت المقومات الإيمانية في قلوب وعقول أبناء الأمة الإسلامية، بوصفها العاصم من كل شر وعلى رأسه الفرقة والاختلاف والتشرذم.

٢- اقتفاء أثر هذا الإمام العظيم، الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وغيره من عظماء الأمَّة، من ائمَّة السلف ومن تبعهم بإحسان، فهم خير من يقتفى أثرهم.

٣- العمل على جمع الأمة على المحبة والصفاء، والانطلاق من قاعدة أن التنوع هو صانع الوحدة، والانطلاق كذلك من قاعدة ترسيخ وتعميق قواسم الوحدة المشتركة، التي هو قواسم عقديَّة بالدرجة الأولى.

٤- استثمار ما لدى الأمَّة من مقومات للوصول بها إلى الوحدة في هذا الزمان، من خلال تربية الأفراد على ضبط قواعد الحوار واحترامها، وفي مقدمة هذه القواعد:

أ- السماع الجيد للرأي الآخر، وتجريد عرض الفكرة بعيداً عن المزايدات وتحديد نقطة الخلاف بدقة.

ب- الاهتمام بالنقد الإيجابي البنَّاء، الذي يعطي البديل لما يُرفض لا الذي يقف عند حد الرفض المجرد.

٥– الانتباه الجيِّد لدسائس غير المسلمين، فليس وراءها إلا الفرقة والتشرذم بين قطاعات أمَّة محمد ﷺ، والانتباه الأبرز الذي نؤكِّد عليه هو اعتصام الأمَّة بالكتاب والسنَّة، فهما الرد العملي الأبرز لرد كيد الأعداء إلى نحورهم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١) الآحاد والمثاني، لأحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر بن أبي عاصم تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، دار الراية الرياض.

٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل/ لمحمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية – ١٤٠٥ – ١٩٨٥، المكتب الإسلامي – بيروت

٣) الاستقامة، لتقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة.

٤) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / لأحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: أحمد أبو العينين، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٠م، دار الفضيلة – الرياض.

٥) الأم/ للإمام محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، تحقيق وتخريج الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء.

٦) الإمامة والرد على الرافضة/ لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٧) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء/ لأبي يوسف عمر بن عبد البر

ص: ١٢٧ مكتبة المطبوعات الإسلاميَّة بحلب.

٨) تفسير الإمام الشافعي/ لأبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي جمع وتحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن مصطفى الفرَّان، الطبعة الأولى:١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار التدمريَّة - الرياض.

٩) تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين إسماعيل ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد وآخرون، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ٢٠٠٠م، مؤسسة قرطبة الجيزة.

١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١١) جامع البيان في تأويل القرآن/ لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.

١٢) جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ابن عبد البر تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان- دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٣) الجامع لشعب الإيمان،لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ- ٢٠٣٣م، مكتبة الرشد - الرياض.

١٤) دليل البحث والتقويم التربوي، لأحمد الخطيب وآخرون، ط.١٩٨٥م.

١٥) الرسالة/ للإمام المطلبي، لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار الكتب العلميَّة– بيروت.

١٦) رسالة في الرد على الرافضة/ لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق الدكتور / ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، دار المأمون للتراث.

١٧) السلسلة الصحيحة/ لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.

١٨) سنن أبي داود/ لأبي داود سليمان بن الأشعث ...السِّجِسْتاني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٩) السنن الكبرى/ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى: ١٣٤٤ هـ دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد – الهند.

٢٠) سير أعلام النبلاء/ للامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ–١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت.

٢١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنَّة وإجماع الصحابة، والتابعين ومن بعدهم/ للإمام هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: الدكتور/أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة.

٢٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول/ شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني، محمد شودري، الطبعة الأولى:١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، رمادي للنشر– المملكة العربيَّة السعوديَّة

٢٣) صحيح البخاري: طبعة ١٣١٢هـ، المطبعة الأميرية الكبرى- بولاق- مصر.

٢٤) صحيح الجامع الصغير وزياداته/ لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٢٥) صحيح مسلم/ للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي طبعة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار الفكر- بيروت.

٢٦) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة/ لأبي العباس أحمد بن محمد ابن حجر الهيثمي، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٧) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة/ لابن قيم الجوية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله دار العاصمة– الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٢٨) العلو للعلي الغفار، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، الطبعة الأولى، ١٩٩٥مكتبة أضواء السلف – الرياض.

٢٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ

٣٠) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان/ شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: د. عبد الرحمن اليحيى، دار الفضيلة.

٣١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ للإمام أبي محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت

٣٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير/ لعبد الرؤوف المناوي: الطبعة الثانية ١٣٩١هـ – ١٩٧٢ م، دار المعرفة– بيروت – لبنان.

٣٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية/ لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني، الطبعة الثانية: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، مؤسسة الخافقين – دمشق.

٣٤) متن العقيدة الطحاويَّة، بيان عقيدة أهل السنَّة والجماعة/ للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي، الطبعة الأولى:١٤١٦هـ– ١٩٩٥م، دار ابن حزم.

٣٥) مجموعة الرسائل الكبرى "العقيدة الحموية الكبرى: لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية دار إحياء التراث العربي.

٣٦) مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة/ لعبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق محمود محمد نصار، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٣٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل/ لأحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة

٣٨) المعجم الكبير/ لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ –

١٩٨٣م، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

٣٩) المعجم الوسيط ، لمصطفى إبراهيم، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٤٠) مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠ م دار التراث القاهرة.

٤١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي البغدادي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، دار الكتب العلميَّة – بيروت.

٤٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريَّة/ لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة لأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ/ لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، الطبعة الرابعة، دار الوسيلة – جدة

٤٥) النهاية في غريب الحديث والأثر/ لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م

٤٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عبَّاس، دار صادر- بيروت.

فهرس الموضوعات